القصر البلورى

شُيِّدَ الْقَصْرُ الْبِلَّورِيُّ فِي « هَيْدْبَارْكْ » مَكَانِهِ الْحَالِي فِي « سدنهام » بِالْقُرْبِ مِنْ لَنْدَنَ . بِلَنْدَنَ خِصِّيصًا لِلْمَعْرِضِ الْكَبِيرِ الَّذِي أُقِيمَ وَقَدْ شُكِّلَتْ لِهٰذِهِ الْمُهِمَّةِ هَيْئَةٌ أَشْرَفَتْ عَلَى بِهِ عَامَ ١٨٥١ وَعِنْدَ مَا أُقْفِلَ الْمَعْرِضُ فِي الْعَامِ التَّالِي فُكِّرَ فِي نَقْلِ الْقَصْرِ مِنْ « هَيْدْبَارْكْ » إِلَى

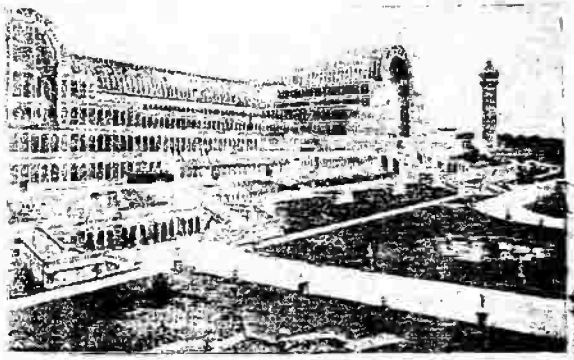

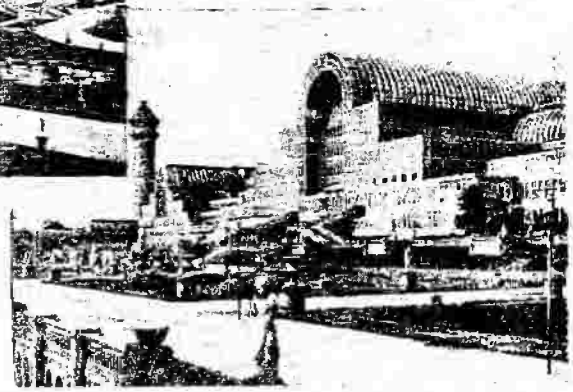

عَمَلِيَّةِ النَّقْلِ الَّتِي اسْتَغْرَقَتْ سَنَتَيْنِ تَقْرِيبًا . وَفِي يُونْيِـــه سنة ١٨٥٤ افْتَتَحَتْهُ رَسْمِيًّا الْمَلِكة « فِكتوريا »

القصر البلورى

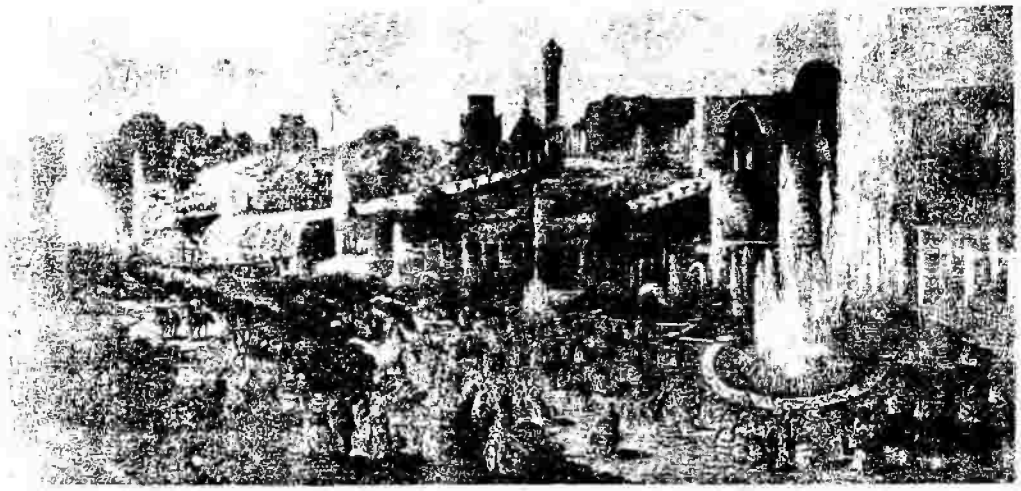

القصر البلورى — الفوارات (النافورات)

مَلِكَةُ إِنْجِلْتِرَا فِي ذٰلِكَ الْعَهْدِ .

وَأَصْبَحَ الْقَصْرُ الْبِلُّورِيُّ مُنْذُ ذٰلِكَ الْحِينِ مِنْ أَشْهَرِ مَبَانِي لَنْدَنَ . وَقَدْ أُقِيمَتْ فِيهِ حَفَلَاتُ اسْتِقْبَالٍ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ وَالْأَبَاطِرَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَزُورُونَ إِنْجِلْتِرَا فَقَدِ احْتُفِلَ فِيهِ بِنَابُلْيُونَ الثَّالِثِ وَالْإِمْبِرَاطُورَةِ أُوجِينِي وَبِقَيْصَرِ رُوسْيَا وَسُلْطَانِ تُرْكِيَا .

وَبَلَغَتْ تَكَالِيفُ ذٰلِكَ الْقَصْرِ مِلْيُونًا وَنِصْفَ مِلْيُونٍ مِنَ الْجُنَيْهَاتِ ، وَجُعِلَ طُولُهُ ١٨٥١ قَدَمًا بِالضَّبْطِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعَامِ الَّذِي أُقِيمَ فِيهِ الْمَعْرِضُ الْكَبِيرُ . وَتُحِيطُ بِالْقَصْرِ حَدَائِقُ تَبْلُغُ مِسَاحَتُهَا ٢٠٠ فَدَّانٍ وَمُزَيَّنَةٌ بِالتَّمَاثِيلِ وَبِأَحْجَارٍ حَمْرَاءَ كَالْيَاقُوتِ وَأُقِيمَتْ فِيهَا فَوَّارَاتٌ (نافورات) فَاخِرَةٌ تَقْذِفُ الْمَاءَ إِلَى ارْتِفَاعٍ لَا يَقِلُّ عَنْ ٢٥٠ قَدَمًا . وَكَانَ الْغَرَضُ مِنْ ذٰلِكَ مُنَافَسَةَ الْفَوَّارَاتِ

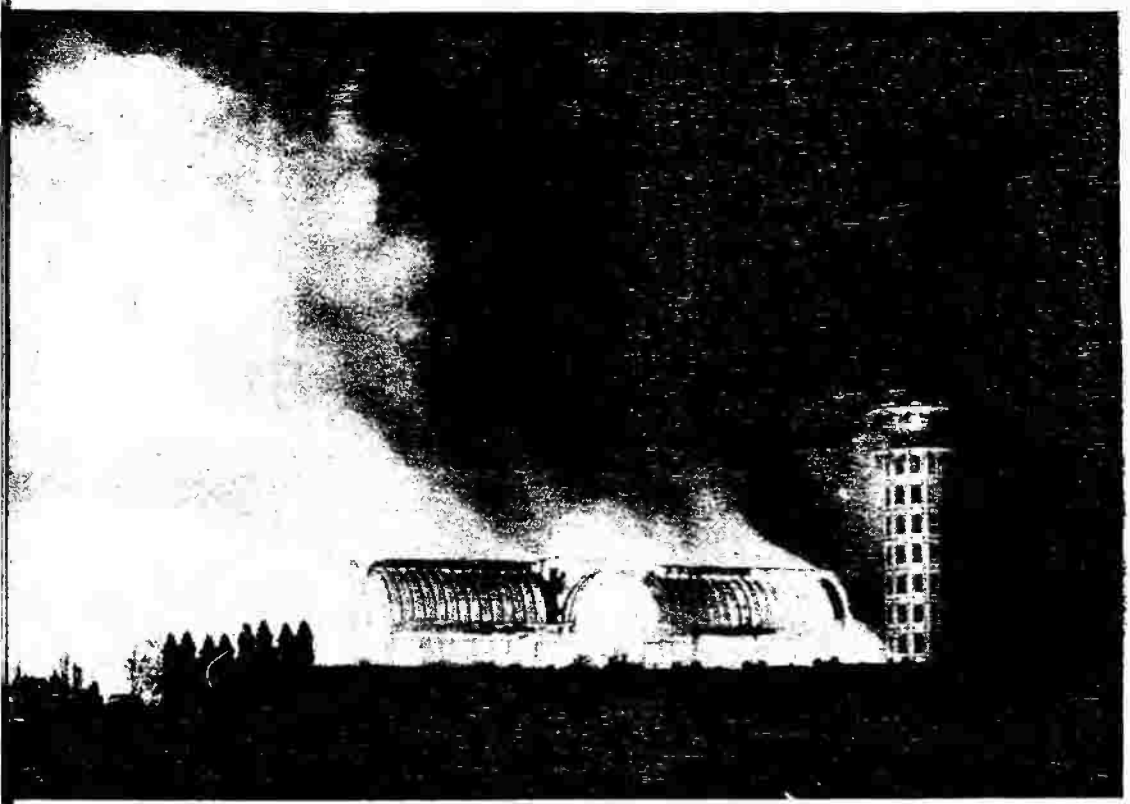

القصر البلورى يحترق

الْمُقَامَةِ فِي قَصْرِ فِرْسَايَ بِفَرَنْسَا . وَالتَّفَوُّقَ عَلَيْهَا مُكَدَّسَةً مِنَ الْحَدِيدِ الْمُنْصَهِرِ .

وَفِي ٣٠ ديسمبر سَنَةَ ١٨٦٦ شَبَّتِ النَّارُ فِي الْجَنَاحِ الشَّمَالِيِّ مِنَ الْقَصْرِ وَقُدِّرَتِ الْخَسَائِرُ بِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفاً مِنَ الْجُنَيْهَاتِ .

وَفِي ديسمبر ١٩٣٦ اخْتَفَى مِنْ عَالَمِ الْوُجُودِ ذٰلِكَ الْقَصْرُ التَّارِيخِيُّ الْعَظِيمُ وَلَمْ تَبْقِ النَّارُ مِنْهُ غَيْرَ الْبُرْجَيْنِ الْعَالِيَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي طَرَفَيْهِ وَأَكْوَاماً

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَقْدِيرِ الْأَلْمَانِ لِهٰذَا الْقَصْرِ أَنَّ الطَّائِرَاتِ الَّتِي حَلَّقَتْ فِي سَمَاءِ لَنْدَنَ فِي أَثْنَاءِ الْحَرْبِ الْعُظْمَى وَأَلْقَتْ قَنَابِلَهَا عَلَيْهَا قَدْ تَجَنَّبَتِ الْمَسَاسَ بِهٰذَا الْبِنَاءِ الْهَائِلِ الْبَدِيعِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ هَدَفاً سَهْلَ الْمَنَالِ لِأَنَّهُ كَانَ أَظْهَرَ مَا يَبْدُو أَمَامَ عَيْنَيِ الطَّيَّارِ .

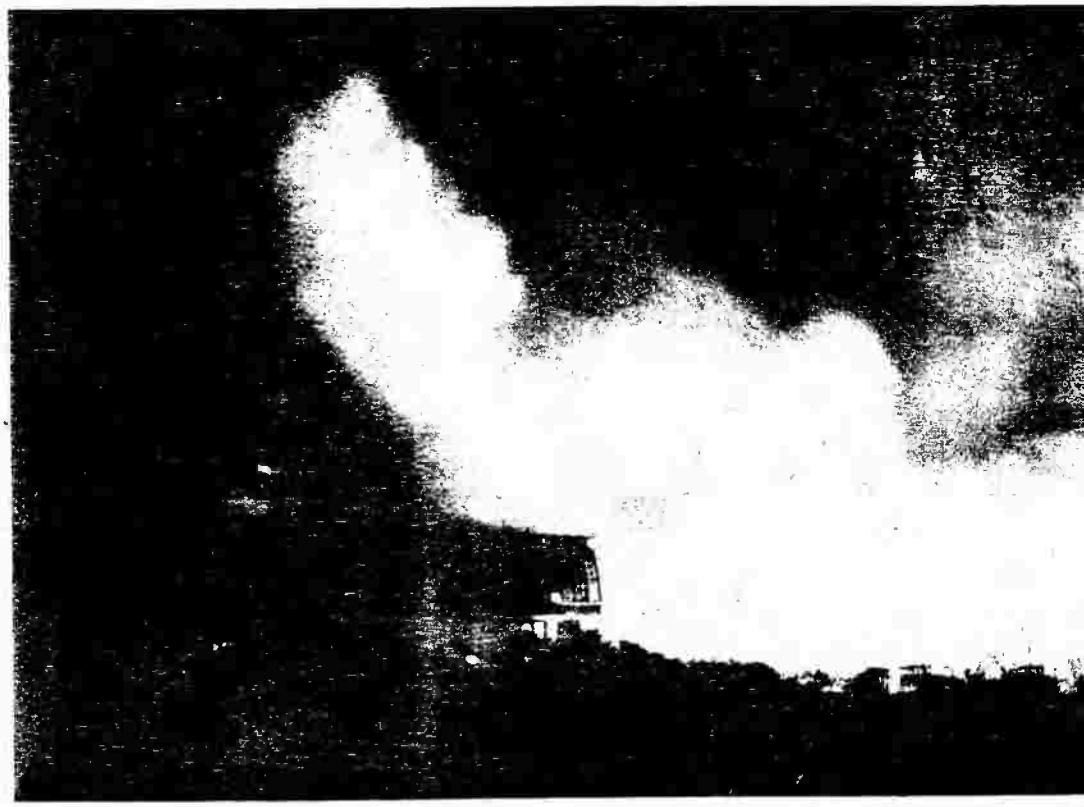

(شكل ٢)

بالصُّنْدُوقِ فَأَخَذَتْ تُحَدِّقُ بِهَا وَمَدَّتْ يَدَيْهَا تَحُسُّهَا . ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تُسْنِدُ رَأْسَهَا عَلَى مِعْطَفِهَا: «مَا أَجْمَلَ هٰذَا الْمِعْطَفَ . إِنَّهُ نَاعِمٌ دَفِيءٌ . »

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ : « هَلْ أَقُصُّ عَلَيْكِ قِصَّةَ هٰذَا الْمِعْطَفِ يَا عَزِيزَتِي ، فَلِكُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا قِصَّةٌ . » فَقَالَتْ عَائِشَةُ ، وَقَدْ فَتَحَتِ الصُّنْدُوقَ وَاحْتَضَنَتِ الدُّمْيَةَ : « نَعَمْ . شُكْرًا لَكِ . إِنَّ

قِصَّتَكِ مُمْتِعٌ شَيِّقٌ فَاحْكِيهَا لِي . » فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ : « كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ رَجُلٌ عَرَفَ أَنَّ النَّاسَ تَحْتَاجُ لِمَعَاطِفَ تَقِيهَا بَرْدَ الشِّتَاءِ . وَأَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرِسَةَ وَغَيْرَهَا الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَنَاطِقِ الْقُطْبِيَّةِ الْبَارِدَةِ وَفِي الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ لَهَا جُلُودٌ مِنَ الْفِرَاءِ تَحْمِيهَا مِنَ الْبَرْدِ الْقَارِسِ . فَفَكَّرَ فِي صَيْدِ هٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ وَبَيْعِ فِرَائِهَا . وَلِذٰلِكَ هَاجَرَ إِلَى تِلْكَ الْأَصْقَاعِ وَأَخَذَ يَصْطَادُ الْحَيَوَانَاتِ وَيَسْلُخُ جُلُودَهَا . غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَوَلَّى نَقْلَهَا لِلْمُدُنِ بِنَفْسِهِ لِأَنَّ فِي ذٰلِكَ ضَيَاعَ وَقْتٍ يَجْعَلُ عَمَلَهُ غَيْرَ مُثْمِرٍ . وَلِذٰلِكَ أَتَى أُنَاسٌ آخَرُونَ يَشْتَرُونَ مِنْهُ الْجُلُودَ وَيَبِيعُونَهَا لِلتُّجَّارِ بِالْمُدُنِ . وَظَهَرَ لِهٰؤُلَاءِ النَّاسِ أَنَّ هٰذِهِ تِجَارَةٌ رَابِحَةٌ ، فَأَقَامُوا الْمَسَاكِنَ وَالْمَخَازِنَ قَرِيبًا مِنَ الصَّيَّادِ وَزَادَ الْعُمَّارُ فِيهَا حَتَّى صَارَتْ بُلْدَانًا كَبِيرَةً ، وَاسْتَخْدَمَ الصَّيَّادُ عَدَدًا مِنَ الْهُنُودِ الْحُمْرِ لِمُسَاعَدَتِهِ فِي الصَّيْدِ فَكَبُرَ عَدَدُ الْمُرْتَزِقِينَ مِنْ هٰذِهِ الصَّنْعَةِ وَكَثُرَتِ الْفِرَاءُ وَقَامَتْ مُدُنٌ جَدِيدَةٌ بِسَبَبِ هٰذَا الصَّيَّادِ وَتَكَوَّنَتْ شَرِكَاتٌ كَبِيرَةٌ لِلتِّجَارَةِ فِي الْفِرَاءِ ، وَأُنْشِئَتْ سِكَكٌ حَدِيدِيَّةٌ فِي أَنْحَاءِ

مَهْجُورَةٍ مِنْ أَجْلِ عَمَلِ هٰذَا الصَّيَّادِ وَسَافَرَتْ بَوَاخِرُ إِلَى أَصْقَاعٍ لَمْ يَكُنْ يَذْهَبُ إِلَيْهَا أَحَدٌ لَوْلَا هٰذَا الصَّيَّادُ . لَقَدْ كَانَتِ الْفِرَاءُ سَبَبًا فِي كَشْفِ آفَاقٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَكَانَ الْفَرْوُ الَّذِي تَضَعِينَ عَلَيْهِ خَدَّيْكِ الْآنَ لِبَاسًا لِحَيَوَانٍ يَقْطُنُ أَقْصَى الْأَرْضِ ، وَلَوْ لَمْ يَسْكُنْ هٰذَا الْحَيَوَانُ فِي تِلْكَ الْأَصْقَاعِ لَمَا ذَهَبَ إِلَيْهَا أَحَدٌ وَلَبَقِيَتْ مَجْهُولَةً . إِنَّ قِصَّةَ فَرْوِي مِنْ قِصَصِ بُطُولَةِ الرَّحَّالَةِ ، وَذٰلِكَ الصَّيَّادُ الشُّجَاعُ مَا هُوَ إِلَّا مُكْتَشِفٌ عَظِيمٌ ، إِذْ لَوْلَاهُ لَبَقِيَ جُزْءٌ عَظِيمٌ مِنَ الدُّنْيَا مَجْهُولًا وَلَفَقَدْنَا نَحْنُ السَّيِّدَاتِ بِفِرَاءِ الْخِرَافِ ، وَلَمَا قَامَتْ تِلْكَ الْمُدُنُ الْجَدِيدَةُ فِي تِلْكَ الْجِهَاتِ الْبَعِيدَةِ ، وَلَبَقِيَ آلَافٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ ، وَلَمَا تَمَتَّعَتِ السَّيِّدَاتُ بِلِبْسِ الْفِرَاءِ الْجَمِيلَةِ . أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ فَرْوَ حَيَوَانٍ مُفْتَرِسٍ فِي الْأَصْقَاعِ الْبَارِدَةِ يَكُونُ سَبَبًا فِي الْحُصُولِ عَلَى ثَرْوَاتٍ هَائِلَةٍ وَبِنَاءِ سُفُنٍ وَاكْتِسَابِ آلَافٍ مِنَ النَّاسِ مَعَاشَهُمْ . أَلَيْسَ غَرِيبًا أَنَّ أَزْيَاءَ السَّيِّدَاتِ كَانَتْ مِنَ الْعَوَامِلِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى كَشْفِ جِهَاتٍ مَجْهُولَةٍ ، فَمِنْ أَجْلِ الثَّرْوَةِ الَّتِي تَجْلِبُهَا الْفِرَاءُ خَاطَرَ الصَّيَّادُونَ بِأَرْوَاحِهِمْ .

(شكل ٣)

إِنَّ أَوَّلَ مَنْ كَشَفَ كَنَدَا وَأَلَسْكَا هُوَ الصَّيَّادُ ثُمَّ تَبِعَهُ الزُّرَّاعُ وَالصُّنَّاعُ وَالتُّجَّارُ . وَقَدْ صَارَتْ تِجَارَةُ الْفِرَاءِ فِي شَمَالِ كَنَدَا فِي يَدِ شَرِكَةِ خَلِيجِ هَدْسُنْ (Hudson Bay Company).

انْظُرِي إِلَى هٰذِهِ الصُّوَرِ تَرَيْنَ فِي الْأُولَى بَعْضَ الصَّيَّادِينَ يَفْرِزُونَ الْفِرَاءَ فِي إِحْدَى مَرَاكِزِ الشَّرِكَةِ . وَفِي أَعْلَى الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ تَرَيْنَ طَرِيقَةَ صَيْدِ الْحَيَوَانِ الْمُسَمَّى كَلْبَ الْمَاءِ أَوِ (الْقُنْدُسِ) وَالْمُبَيَّنِ شَكْلُهُ فِي الدَّائِرَةِ . فَتُقَامُ أَعْمِدَةٌ يُعَلَّقُ فِيهَا عَدَدٌ مِنَ الْأَجْرَاسِ مُتَّصِلٌ كُلٌّ مِنْهَا بِخَيْطٍ يَنْتَهِي فِي الْمَاءِ الْجَارِي تَحْتَ سَطْحِ الْجَلِيدِ فَإِذَا صَلْصَلَ الْجَرَسُ دَلَّ ذٰلِكَ عَلَى أَنَّ الْحَيَوَانَ قَدْ مَسَّ

شكل (٤)

الْخَيْطَ فَيَسْتَمِدُّ الصَّيَّادُ لِعُلاَقَاتِهِ وَطُعْمِهِ بِحَرَكَتِهِ . وَقَدْ يَبْقَى الصَّيَّادُ مُتَرَقِّبًا سَاعَاتٍ طَوِيلَةً مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ .

وَفَرْوُ هٰذَا الْحَيَوَانِ أَثْمَنُ أَنْوَاعِ الْفِرَاءِ لأَنَّهُ نَادِرٌ قَلِيلٌ ، وَلاَ يُوجَدُ إِلاَّ فِي أَلاَسْكَا وَكَمِشْتَكَا . وَمِثْلُهُ فِي ذٰلِكَ فَرْوُ الثَّعْلَبِ الْفِضِّيِّ الَّذِي يُوجَدُ فِي سِيبِرْيَا وَأَلاَسْكَا فَقَطْ . وَفِي أَسْفَلِ الصُّورَةِ تَرَى أَحَدَ التُّجَّارِ يُسَاوِمُ بَعْضَ الصَّيَّادِينَ فِي شِرَاءِ جِلْدِ ثَعْلَبٍ فِضِّيٍّ .

عَلَى أَنَّ مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ الصَّيَّادُونَ مِنْ أَثْمَانِ الْفِرَاءِ يُعْتَبَرُ شَيْئًا حَقِيرًا زَهِيدًا بِالنِّسْبَةِ لِلأَثْمَانِ الَّتِي تُبَاعُ بِهَا فِي الأَسْوَاقِ بَعْدَ صُنْعِ الأَزْيَاءِ مِنْهَا : فَقَدْ يَبْلُغُ ثَمَنُ مِعْطَفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْفِرَاءِ أَلْفًا مِنَ الْجُنَيْهَاتِ .

وَهُنَاكَ حَيَوَانٌ صَغِيرٌ جَمِيلٌ يُسَمَّى شِنْشِلاَ (شكل ٣) يَسْكُنُ أَعَالِيَ جِبَالِ الأَنْدِيزِ فِي بِيرُو وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الأَرْنَبِ الْجَبَلِيِّ وَلٰكِنَّهُ يُشْبِهُ السِّنْجَابَ ، وَيَجْرِي كَالْفَأْرِ وَحَجْمُهُ كَحَجْمِ الأَرْنَبِ الْعَادِيِّ ، وَلَهُ فَرْوٌ رَمَادِيٌّ رَقِيقٌ مُبَرْقَشٌ بِالسَّوَادِ وَصَيْدُهُ يَحْتَاجُ لِمَهَارَةٍ خَاصَّةٍ حَتَّى لاَ يُتْلَفَ جِلْدُهُ الرَّقِيقُ . وَأَحْيَانًا يُسْتَخْدَمُ ابْنُ عُرْسٍ لِهٰذَا الْغَرَضِ فَيَحْمِلُهُ الصَّيَّادُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَ الشِّنْشِلاَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ ابْنَ عُرْسٍ فَيَفْتَرِسُهُ فِي الْحَالِ . وَغَالِبًا يَسْتَعْمِلُ الصَّيَّادُونَ أُنْبُوبَةً طَوِيلَةً تُسَمَّى بُنْدُقَةَ النَّفْخِ ، تُنْفَخُ مِنْهَا سِهَامٌ بِوَسَاطَةِ الْفَمِ فَتُصِيبُ الْحَيَوَانَ وَتَقْتُلُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْبَثَ بِفَرْوِهِ أَوْ تُتْلِفَهُ .

وَفِي الصُّورَةِ الرَّابِعَةِ تَرَى صَيْدَ عِجْلِ الْبَحْرِ وَفَرْوُهُ أَهَمُّ مَوْرِدٍ لِلتِّجَارَةِ بِسَبَبِ حَجْمِهِ الْكَبِيرِ وَكَثْرَتِهِ . وَأَوَّلُ مَا يَفْعَلُهُ الصَّيَّادُونَ هُوَ أَنْ يَسُوقُوا الْعُجُولَ إِلَى الْبَرِّ ثُمَّ يَقْتُلُوهَا وَيَسْلَخُوا جُلُودَهَا وَيُمَلِّحُوهَا لِحِفْظِهَا مِنَ التَّلَفِ ثُمَّ تُلَفُّ حُزَمًا ، كَالْمُبَيَّنِ بِالرُّكْنِ الأَيْمَنِ فِي أَعْلَى الصُّورَةِ ، وَتُحْمَلُهَا السُّفُنُ إِلَى بِلاَدِ الدُّنْيَا حَيْثُ تُصْنَعُ مِنْهَا الْفِرَاءُ

الْجَمِيلَةُ . وَمِنْ أَشْهَرِ مَصَايِدِ هٰذِهِ الْحُجُولِ جَزِيرَةُ النُّحَاسِ « Copper Island » وَقَدْ تَغَالَى الصَّيَّادُونَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ فِي صَيْدِ هٰذِهِ الْحُجُولِ فَاصْطَادُوا فِي بَحْرِ ثَلَاثِ سِنِينَ أَرْبَعَةَ مَلَايِينَ وَنِصْفَ مِلْيُونٍ مِنْ هٰذِهِ الْحُجُولِ حَتَّى خِيفَ أَنْ تَنْقَرِضَ . وَلِذٰلِكَ أَصْدَرَتِ الْحُكُومَاتُ الْأَمِرِيكِيَّةُ وَالْإِنْجِلِيزِيَّةُ قَوَانِينَ تُحَدِّدُ الْمَدَدَ الَّذِي يُمْكِنُ صَيْدُهُ كُلَّ عَامٍ مُحَافَظَةً عَلَى هٰذَا الْحَيَوَانِ النَّافِعِ مِنَ الْفَنَاءِ .

وَهُنَاكَ بَعْضُ حَيَوَانَاتٍ تُقِيمُ وِجَارَهَا تَحْتَ الْمَاءِ ، مِثْلُ كَلْبِ الْمَاءِ ، الْمُبَيَّنِ شَكْلُهُ فِي الدَّائِرَةِ الْعُلْيَا مِنْ شَمَالِ الصُّورَةِ (شكل ٥) وَمِثْلُ فَأْرِ الْمِسْكِ ، الْمُبَيَّنِ فِي الدَّائِرَةِ السُّفْلَى مِنْ هٰذِهِ الصُّورَةِ وَسُمِّيَ هٰكَذَا بِسَبَبِ رَائِحَةِ الْمِسْكِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي تَنْبَعِثُ مِنْهُ . وَطَرِيقَةُ الصَّيْدِ أَنْ تُقَامَ مَصَائِدُ مُلَوَّبَةٌ تَحْتَ الْمَاءِ فَإِذَا دَخَلَ الْحَيَوَانُ فِي الْأُنْشُوطَةِ تَحَرَّكَ اللَّوْلَبُ وَأَقْفَلَهَا عَلَى رَقَبَتِهِ فَيَقَعُ فِي الْفَخِّ — وَفِي الصُّورَةِ تَرَى رَجُلًا يُهَيِّئُ مِصْيَدَةً مِنْ فُرُوعِ الشَّجَرِ وَآخَرَ يَنْصِبُ مِصْيَدَةً مَعْدِنِيَّةً .

هٰذِهِ يَا بُنَيَّ قِصَّةُ الْفِرَاءِ » فَقَالَتْ عَائِشَةُ : « حَقِيقَةً إِنَّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِبَ ، وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ فَرْوَكِ الْجَمِيلَ هٰذَا كَانَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ لِبَاسَ حَيَوَانٍ أَوْ وَحْشٍ مُفْتَرِسٍ . وَهُوَ الْآنَ لِبَاسُ

(شكل ٥)

مَلَكٍ كَرِيمٍ » قَالَتِ السَّيِّدَةُ : « شُكْرًا لَكِ يَا عَائِشَةُ عَلَى هٰذِهِ التَّحِيَّةِ اللَّطِيفَةِ . وَلٰكِنْ لَا تَظُنِّي أَنَّ هٰذَا الْمِطْفَ مَصْنُوعٌ مِنْ فَرْوِ حَيَوَانٍ وَاحِدٍ ، فَقَدْ يَحْتَاجُ الْأَمْرُ لِمَدَدٍ مِنَ الْفِرَاءِ يَزِيدُ أَوْ يَنْقُصُ بِحَسَبِ حَجْمِ الْحَيَوَانِ ، وَالزِّيِّ الْمَطْلُوبِ . وَالْآنَ أُسْتَوْدِعُكِ اللهَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَتِمَّ شِفَاؤُكِ قَرِيبًا ، فَتَخْرُجِينَ مَعِي لِنُزْهَةٍ لَطِيفَةٍ فِي الْهَوَاءِ الْمُنْعِشِ الْعَلِيلِ . »